Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي
E-ISSN: 2959-6505
Volume 3, Issue 4, 2025
Page No: 250-259
Website: https://aajsr.com/index.php/aajsr/index
SJIFactor 2024: 5.028 ISI 2025: 0.915 معامل التأثير العربي (AIF) 2025: 0.76

A Study of the Origins of Christian Doctrine

Amira Abdulsalam El-Shibani*
Department of Philosophy, Faculty of Arts, University of Benghazi, Benghazi, Libya

قراءة في نشأة العقيدة المسيحية

أميرة عبد السلام الشيباني*
قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة بنغازي، بنغازي، ليبيا

*Corresponding author: amira.elshibani@uob.edu.ly

Received: August 16, 2025 | Accepted: November 11, 2025 | Published: November 26, 2025

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
This study examines the development of Christian doctrine from the time of Jesus (peace be upon him) to the emergence of the Holy Trinity, focusing on the Crucifixion and its historical, religious, and political dimensions. The research demonstrates that Christian doctrine did not emerge in isolation from its social and political contexts. The Crucifixion led to the concept of redemption, followed by the deification of Jesus and the establishment of the Trinity, influenced by multiple historical and cultural factors. The study also highlights the role of the Roman Empire and interactions with pagan beliefs in shaping the final form of Christian doctrine. The findings indicate that Christian doctrine is a complex product of historical, political, and religious interactions rather than a mere reflection of Jesus's original teachings, emphasizing the importance of historical context in understanding the development of any religious doctrine.

Keywords: Christianity, Doctrine of Redemption, Divinity of Jesus, Trinity, Crucifixion.

الملخص:
يتناول هذا البحث دراسة تطور العقيدة المسيحية منذ زمن المسيح عليه السلام وحتى ظهور عقيدة الثالوث، مع التركيز على حادثة الصلب وأبعادها التاريخية والدينية والسياسية، يوضح البحث أن العقيدة المسيحية لم تنشأ بمعزل عن السياقات الاجتماعية والسياسية المحيطة بها، وأن حادثة الصلب أدت إلى ظهور فكرة الفداء، ثم تأليه المسيح وظهور الثالوث، تحت تأثير عوامل تاريخية وثقافية متعددة. كما يسلط البحث الضوء على دور الإمبراطورية الرومانية والتفاعلات مع المعتقدات الوثنية في تشكيل العقيدة المسيحية النهائية. وتشير النتائج إلى أن العقيدة المسيحية هي نتاج مركب للتفاعلات التاريخية والسياسية والدينية، وليس مجرد انعكاس لتعاليم النبي عيسى عليه السلام الأصلية، مما يبرز أهمية دراسة السياق التاريخي لفهم تطور أي عقيدة دينية.

الكلمات المفتاحية: المسيحية، عقيدة الفداء، ألوهية المسيح، الثالوث، الصلب.

المقدمة:

تُعد دراسة نشأة العقيدة المسيحية وفهم أبعادها العقائدية والتاريخية واحدة من أهم القضايا في الدراسات الدينية والتاريخية، إذ تكشف عن طبيعة التفاعلات المعقدة بين الدين والسياسة والمجتمع في العصور القديمة. وتمثل حادثة صلب المسيح نقطة محورية في تاريخ المسيحية، فهي ليست مجرد حدث ديني أو عقائدي، بل كانت تحمل أبعاداً تاريخية وسياسية واجتماعية واسعة، أثرت في تكوين المعتقدات المسيحية الأساسية مثل عقيدة الفداء، وألوهية المسيح، وعقيدة الثالوث.

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة لمراحل نشأة العقيدة المسيحية، بدءاً من فهم عقوبة الصلب وأبعادها التاريخية والرمزية، وصولاً إلى دراسة التغيرات التي طرأت على المفاهيم الدينية إثر حادثة الصلب، وظهور عقيدة الفداء، ثم تأليه المسيح

وظهور الثالوث المسيحي. كما يسعى البحث إلى إبراز الأبعاد السياسية والاجتماعية التي ساهمت في ترسيخ هذه العقائد، بما في ذلك دور الإمبراطورية الرومانية، وتأثير الحروب والصراعات الداخلية على توجيه مسار العقيدة.

يعتمد البحث المنهج التاريخي-التحليلي، من خلال دراسة المصادر المسيحية الأصلية، والمقارنة مع النصوص القرآنية التي تناولت شخصية عيسى عليه السلام، وتحليل الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية التي شكلت البيئة التي نشأت فيها العقيدة المسيحية. وتبرز إشكالية البحث في السؤال التالي :**إلى أي مدى يمكن اعتبار العقيدة المسيحية نتاجاً تاريخياً وسياسياً، مقارنة بالدعوة الأصلية التي جاء بها عيسى عليه السلام، وما هو تأثير هذه العوامل على تطور المفاهيم الدينية؟**

من خلال هذا البحث، يتم الكشف عن الطبيعة المركبة للعقيدة المسيحية، والتي شكلت نتيجة لتفاعل عدة عناصر متداخلة: التجربة التاريخية للمسيحيين الأوائل، تدخل القوى السياسية، والوراثة الثقافية والدينية من المجتمعات الوثنية المحيطة. ويهدف البحث إلى تقديم رؤية شاملة تفسر التطورات العقائدية المسيحية في سياقها التاريخي، مع إبراز الدروس التي يمكن استخلاصها حول تأثير العوامل الخارجية على نشوء العقائد الدينية.

أولاً: الصلب، ماهيته وأبعاده التاريخية والرمزية

التعريف بعقوبة الصلب:

الصلب في اللغة هو تعليق المرء مشدود الرجلين ممدود اليدين[1]، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن "صلب الضحية هو تعليقها على صليب تنفيذاً لحكم الإعدام فيها، وكان يتم بربط اليدين والرجلين به أو بصورة أفظع بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية"[2].

والصليب هو اسم المفعول من الفعل صَلَبَ، يُقال صَلَبَ الجسم/صلَبَ فلاناً: علَّقه ممدود اليدين مشدود الرجلين قتلاً أو تعذيباً، والصليب في الأصل بمعنى المصلوب، ثم سمي به الشيء الذي يُصلب عليه، وهو كل ما كان على شكل خطين متقاطعين من خشب أو معدن أو نقش أو غير ذلك، وجمعه صُلب، وصُلبان، والصليب عند النصارى الخشبة التي يقولون إنه صُلِبَ عليها المسيح؛ وقد سميت الحروب التي نظمها المسيحيون الآتون من أوروبا ضد المواقع المقدسة في فلسطين من 1096 إلى 1291، بالحروب الصليبية، وذلك لحملهم الصليب شعاراً لهم [3].

أصول ومصادر عقوبة الصلب:

الصلب هو وسيلة قديمة جداً للإعدام [4]، وقد كان وسيلة إعدام معروفة منذ زمن بعيد قبل ميلاد المسيح، إذ كان لدى الفينيقيين تجارب قاسية ومتنوعة مع تجارب الإعدام، ولكن معظمها كان يؤدي للوفاة السريعة، لذلك اخترعوا وسيلة الصلب، التي تفضي إلى الموت البطيء طويل الأمد إمعاناً في تعذيب الضحية وإذلاله [5]

كما كان الصلب وسيلة إعدام شائعة في بلاد فارس منذ القرن السادس قبل الميلاد، وقد انتقل منها إلى الإمبراطورية الرومانية، وقد أتقن الرومان هذا النوع من وسائل الإعدام وطوروا أساليبها الدموية [6] وقد تم استخدام هذه العقوبة من قِبل الرومان خلال تمرد سبارتاكوس الشهير، وخلال الحرب الأهلية الرومانية، وفي تدمير أورشليم، ويقال إنهم كانوا يصلبون سكان أورشليم بطول سورها الخارجي [7] وقد استمر الصلب كوسيلة الإعدام الرائجة والمفضلة في الإمبراطورية الرومانية، إلى أن قام الإمبراطور قسطنطين (272-337) بمنعه في كل أنحاء الإمبراطورية في نهاية فترة حكمه [8].

الكيفية التي يتم بها الصلب:

في عقوبة الصلب يتم ربط المحكوم عليه أو يسمَّر بالمسامير، في قطعتين خشبيتين متعامدتين، ويترك معلقاً عليها حتى الموت، كما أنه قد كان على المحكوم قبل الصلب أن يجلد حتى يفقد كمية كبيرة من الدماء ويصل إلى حالة قريبة من الصدمة، بعد ذلك كان عليه أن يحمل بنفسه الصليب الذي سيصلب عليه، ويطوف به في شوارع المدينة قبل أن يصل به إلى موضع الصلب، ثم يُعرَّى المحكوم عليه وتدق فيه المسامير التي قد يتراوح طولها بين 13 إلى 18 سنتمتر [9]، وقد تدق هذه المسامير في المعصم أو في كف اليد، ثم يُترك المصلوب معلقاً حتى الموت، وقد كان موته ،في أغلب الأحيان، يستغرق وقتاً، إذ ربما عاش المصلوب أياماً حتى يموت من الجفاف.

---

[1] مسعود، جبران: الرائد "معجم لغوي عصري"، ط: 2، (بيروت، دار العلم للملايين)، 1967، ص928.

[2] بوست، جورج، وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، ط:14 (القاهرة، دار مكتبة القاهرة) 2005، ص545.

[3] https://www.almaany.com

[4] حنا، ميشيل: 30 طريقة للموت "تاريخ وسائل الإعدام في العالم"، ط:2(د م ن، د د ن)، د ت ن، ص31.

[5] ديدات، أحمد: الصلب وهم أم حقيقة، تقديم: عبد الجليل شلبي، ترجمة وتحقيق: إبراهيم خليل، ط:1(القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع)، 1989، ص103.

[6] المرجع السابق، ص103.

[7] حنا، ميشيل: 30 طريقة للموت، مرجع سابق، ص37.

[8] المرجع السابق، ص38.

[9] المرجع السابق، ص37.

الإهانة التي تتضمنها عقوبة الصلب:

في البداية لابد من القول إن الصلب كان الأسلوب العام للتخلص من المساجين السياسيين -من غير الرومان- والسفاحين والقتلة والمتمردين الخارجين عن القانون [10]، واللصوص أيضاً، فقد ورد في إنجيل (مرقص) أنه قد صُلِبَ لصان إلى جانب النبي عيسى عليه السلام [11]، وقد كان الرومان يحكمون بالصلب على العبيد والمجرمين والمتمردين والقراصنة وأعداء الإمبراطورية الرومانية، وقد كانوا يعفون من هذه العقوبة مواطني الإمبراطورية -أي الرومان أنفسهم-، حيث كانت العقوبة القصوى بالنسبة للمواطن الروماني هي الغرامة أو النفي [12].

ويبدو أن الغرض من الصلب ليس الإعدام فقط، بل كان وسيلة مرعبة ومخيفة ومؤلمة للموت، ويمكن أيضاً تنفيذها على مرأى أكبر عدد من الجمهور [13] خاصةً وأن هذه الطريقة من طرق التعذيب والإعدام قد كانت تصحبها العديد من الممارسات اللاأخلاقية المنفرة من قِبل منفذيها، فقد ورد بأن الجنود الرومان كانوا يُسَلُّون أنفسهم بصلب المحكومين بأوضاع مختلفة، كما أن المحكوم كان يتعرض للضرب المبرح والتعذيب الشديد قبل وأثناء عملية الصلب، وبعد الصلب كان يترك المصلوب معلقاً فترة طويلة حتى يموت، ولأنه لم يكن يسمح للحراس بالمغادرة إلا بعد موت المصلوب، وبسبب الاستعجال فقد كان بعض الجنود -أحياناً- يسرّعون عملية الموت بكسر عظامه أو طعنه، وبالتالي فإن مرد تفضيل الرومان لهذه الطريقة في الإعدام -بصرف النظر عن الألم المبرح الناجم عنها-، هو ما تتضمنه هذه الطريقة من تحقير وإذلال للمصلوب ولأهله وذويه أيضاً.

كذلك مما يجدر الإشارة إليه فيما يتعلق بإهانة المصلوب والإمعان في تحقيره وإذلاله، وهو أنه على ما يبدو أن جثث المصلوبين قد كانت تترك معلقة حتى تتحلل أو تأكلها الطيور، ولم يكن يُسمح لأهلهم وذويهم بدفنهم، بحجة أن المجرم لو لامست جثته الأرض فإنه سينجسها بآثامه. و"تشير الدراسات الأركيولوجية أنه على الرغم من أن الرومان قد نفذوا عقوبة الصلب على الآلاف من الأشخاص، إلا أنه لم يتم العثور إلا على رفات واحد لجثة شخص مصلوب" [14].

وبالتالي فهو عقوبة لكل مجرم وضيع، لا قيمة اجتماعية له، -بحسب معايير الإمبراطورية الرومانية- وأن إعدامه بهذه الطريقة لم يكن فقط من أجل تنفيذ عقوبة الموت على المتهم، بل كان أسلوباً دموياً جداً من أساليب الإرهاب والتخويف، وتنفيذها في العلن لا شك أنه كان يحمل رسالة قوية ومخيفة لكل من تسول له نفسه بتحدي الإمبراطورية، كما أن عدم دفن الجثة وتركها تتعفن على الملأ، كان أمراً يتضمن إهانة كبيرة خاصة إذا ما علمنا "أن الحفاظ على الجسد في العالم القديم كان له أهمية عظمى، لهذا فإن عملية الصلب تعد أقصى درجات التحقير" [15] [16].

ثانياً: الصلب في العقيدة المسيحية:

حادثة الصلب وتداعياتها في العقائد المسيحية:

بينا، سابقاً، أن موت الإنسان على الصليب كان يعتبر ميتة مخزية، يوصم صاحبها وأقرباؤه بالعار والفضيحة، فإلى "موت المسيح وحتى بعده كان الصليب علامة الذل والعار"[17]، لذلك فإن فكرة موت عيسى عليه السلام -التي يرفضها القرآن الكريم-، كانت مرعبة لأتباعه، مخزية لشخصه النبوي، وقد ورد في (إنجيل برنابا) ما يؤكد بأن هذا النوع من القصاص هو مجلبة للعار في ذلك الزمن وفي تلك البيئة[18].

ونظراً لحادثة الصلب التي غيرت مجرى الأمور في التاريخ المسيحي والتي كانت تستهدف النبي عيسى عليه السلام، والملابسات التي صاحبتها، واعتقاد الجموع بأن النبي الذي أبهر الناس بمعجزاته وآياته قد انتهت حياته بهذه الطريقة المفجعة والمحزنة، والتي لم يكن يتوقعها له أحد من أتباعه، والذين شهدوا القوى الروحية المشتمل عليها في كيانه، ورأوا عن قرب ومداناة لطفه ووداعته ورقة شمائله وعفة لسانه، ورحمته وسلامة طويته، فكانت النهاية التي شهدوها، داعية إلى إدامة النظر والتفكير، وتقليب وجوه الرأي، حتى يتمكن العقل من تجميع أطراف حياته، ويؤلف بين بدئها وختامها.

---

[10] ديدات، أحمد: الصلب وهم أم حقيقة، مرجع سابق، ص103.

[11] ورد ذلك في إنجيل مرقص ما نصه: "وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره".

[12] حنا، ميشيل: 03 طريقة للموت، مرجع سابق، ص37.

[13] المرجع السابق، ص32.

[14] المرجع السابق، ص35.

[15] المرجع السابق، ص37.

[16] لقد ورد في العهد القديم (سفر التثنية) (21.22،23) ما نصه: "وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت، فقُتِلَ فعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلَّق ملعون من الله".

[17] قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص546.

[18] هذا النص ورد في الفصل التاسع عشر بعد المئتين، وذلك على النحو التالي: "فجاء يسوع محفوفاً بالنساء إلى الغرفة التي أقامت فيها مريم العذراء مع أختيها ومرثا ومريم المجدلية ولعازر والذي يكتب ويوحنا ويعقوب وبطرس فخروا من الهلع كأنهم أموات، فأنهض يسوع أمه والآخرين عن الأرض قائلاً: (لا تخافوا لأني يسوع، ولا تبكوا لأني حي لا ميت، فلبث كل منهم زمناً طويلاً كالمخبول لحضور يسوع، لأنهم اعتقدوا اعتقاداً تاماً بأن يسوع مات، فقالت حينئذٍ العذراء باكية: قل لي يا بني لماذا سمح الله بموتك ملحقاً العار بأقربائك أخلائك، وملحقاً العار بتعاليمك".

يقول (عبد الكريم الخطيب) في كتابه (المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل): "ولو أن المسيح قُتِلَ قتلاً، أو شُنِق شنقاً لكانت نهايته على هذا الوجه أمراً يمكن أن يُقبل أو يُحتمل، حيث لقي كثير من أنبياء الله ورسله مثل هذا المصير، على يد الأشقياء الأغبياء من أقوامهم، فكان موتهم على تلك الصفة شهادة مبرورة لهم عند الله، ولكن المسيح لم يقتل؛ ولم يشنق، بل مات ميتة شنيعة.. مات مصلوباً. والصلب في شريعة اليهود، كما يشهد بذلك الكتاب المقدس، هو حكم على المصلوب باللعنة الأبدية، وطرد من رحمة الله، (ملعون من عُلِّقَ على خشبة) هكذا يقول الكتاب المقدس، وهذا هو حكمه على كل من لقي مثل هذا المصير المشؤوم، اللعنة والطرد من رحمة الله"[19].

ولذا فإنه على ما يبدو أن ما حصل من الممكن أنه قد جعل أتباعه، والذين التبس عليهم الأمر في حادثة موت عيسى -عليه السلام-يحسون بالخذلان جراء ما حصل لمثلهم الأعلى وقائدهم الروحي، ما دفعهم لتصديق أي شيء يمكن أن ينقذهم من هذا الشعور المؤلم، حتى أنه قد "وضعت نظريات مختلفة لتبرير الصلب، وتحويله من الصورة التي علقت في ذهن الكثيرين باعتباره هزيمة لحقت بصاحب الدعوة إلى انتصار"[20]، أو ربما لم يكن بيدهم حيلة للوقوف أمام المواجهات التي حصلت والتي وصلت لحد المساس بالعقيدة المسيحية نفسها، خاصة وأنه -بحسب ما يروى- فإن الاضطهادات التي راح عيسى -نفسه- ضحيتها قد استمرت بعده فأحاقت بحواريه وأتباعه، وأنه بعد صلب المسيح قد ذاب معظم أتباعه المقربين واختفى صوتهم وأصبحت الساحة خالية ومتاحة لمن يتقدم بأي فكر جديد وغريب عما كان يبشر به السيد المسيح[21].

الصلب والفداء:

لقد كانت حادثة الصلب وما أدت إليه من تغيرات نفسية وأزمات عصفت بالمسيحية والمسيحيين دور كبير في إعادة تشكيل المعتقدات المسيحية، وسواء تم استغلالها عمداً لتشويه المسيحية وإعادة تطويعها لتناسب طبيعة الأفكار والمعتقدات التي كانت مطروحة ومتداولة في ذلك العصر، أو أن أثرها النفسي والاجتماعي على الأتباع كان هو العامل الحاسم في جعل الأمور تتغير بشكل متطرف وغريب بعد هذه الحادثة. أقول إنه في كل الأحوال قد تداعت الاعتقادات واحدة تلو الأخرى حتى تشكل ما نعرفه اليوم بالديانة المسيحية، وهي في حقيقتها لا علاقة لها بما جاء به نبي الله عيسى -عليه السلام- من تعاليم، وتعتبر عقيدة (الفداء) أول هذه العقائد.

يعتبر (بولس) أو (شاؤول)، الذي عُرِف في بداياته باضطهاد أتباع المسيح، ثم تحول للمسيحية وكتب عدداً من الرسائل التي تشكل جزءاً كبيراً من العهد الجديد-من أبرز من تقدم لتبرير حادثة الصلب مستغلاً ما حدث من أجل إبراز أفكاره والدعوة لها، تماشياً مع ما كان رائجاً على الساحة الفكرية آنذاك من أفكار ومعتقدات دينية مختلفة[22]، وكان ذلك بداية بطرح فكرة (الفداء)، والتي كانت من العقائد والأفكار السائدة بالمنطقة وخاصة عند المصريين القدماء[23]، وقد تبنى بولس "فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر، وروج لها في رسائله"[24]، معتبراً أن السيد المسيح قد صُلب لينقذ ويفتدي بموته العالم الذي استحوذ عليه الشيطان بسبب خطيئة آدم[25]. ومن ثم كان لابد له أن يموت ليفتح أبواب السماء لكل من نالوا رضوان الله[26]، وذلك كما قال في رسالته إلى أهل رومية: "إن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل معه جسد الخطيئة، كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطيئة"[27]، وكذلك ما قاله في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، وهو: "أعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به، وقبلتموه وتقومون به...فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا"[28].

والحقيقة أن عقيدة الصلب من هذا المنطلق -وهو أن المسيح صُلب للتكفير عن أخطاء الجنس البشري- تهدم مبدأ مهماً من مبادئ الفطرة الإنسانية السليمة، وهو مبدأ المسئولية، فكل إنسان مسئول عن عمله، وأن قيمته تكمن في عمله وإرادته، ولكن عقيدة الصلب، حتى تبرر الصلب، تلغي مبدأ المسئولية، وتحمل الأبناء وزر الآباء، ومسئولية تلك الأوزار، وهي بذلك تخل بالعلاقة المنطقية بين مفهومي الجريمة والعقاب، كما تقلب مفهوم التضحية بوصفه تعبيراً عن سامياً عن معاني المحبة الإيجابية الخيرة نحو المحبوب، إلى وسيلة لتبرير أعمال الشر ونوازعه، وإضفاء المشروعية عليها، حين تكون التضحية للمحبوب مبرراً لإطلاق اليد بالشر والجريمة، وحين تكون تضحية المحب، وهو السيد المسيح، هي جريمة المحبوب وهو الإنسان، لينال جزاء جريمته جائزة العفو والمغفرة[29].

---

[19] الخطيب، عبد الكريم: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ط:1 (مصر، دار الكتب الحديثة)، 1965، ص135.

[20] عبد الوهاب، أحمد: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، د ط (القاهرة، مكتبة وهبة) د ت، ص191.

[21] شلبي، أحمد: مقارنة الأديان(المسيحية)، ط:8 (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية) 1984، ص114.

[22] من الجدير بالذكر أن أتباع المسيح الذين كانوا لازالوا على قيد الحياة، والذين يعرفون المسيحية كما تلقوها عن عيسى عليه السلام، لم يرحبوا بأفكار بولس المستجدة التي كان يدعو إليها، وشككوا فيها، للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى (شلبي، أحمد: مقارنة الأديان(المسيحية)، مرجع سابق، ص113).

[23] الثعالبي، عبد العزيز: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، تقديم ومراجعة: حمادي الساحلي، ط: 1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي) 1985، ص54.

[24] عبد الوهاب، أحمد: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مرجع سابق، ص192،191.

[25] ينطلق هذا التصور من قصة خطيئة آدم وحواء والحية الواردة في سفر التكوين، وقصة إغواء الحية لحواء، وما ترتب على هذه الخطيئة من عقوبات لاحقت آدم وحواء والجنس البشري بأكمله من بعدهما. (للمزيد حول تفاصيل هذه القصة يمكن الرجوع إلى: سفر التكوين، الإصحاح (2) و (3)). وأيضاً: (اسليماني، حفيظ: الصلب وعلاقته بالخطيئة في الفكر الديني المسيحي "عرض ونقد"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد: 10، سنة: 2017، المغرب، ص126-144).

[26] ديورانت، ول: قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة: محمد بدران، د ط (بيروت، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع) د ت، ص265.

[27] رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح السادس، 6.

[28] رسالة بولس إلى أهل كورنثوس، الإصحاح الخامس عشر، 1-3.

[29] أبو سليمان، عبد الحميد أحمد: عقيد الصلب بين المسيحية والإسلام، 2008.عقيدة-الصلب-بين-الإسلام والنصرانية/academia.edu/33838467 اليوم: 2024/10/23 الساعة: 13,49

- ولكن هل توقف هذا التبرير اللا منطقي لهذه الواقعة، والتي يفترض بأنها حادثة مقدسة وذات بعد عقائدي عميق وحافل بالمعاني، أقول هل توقف عند هذا المستوى أم كانت له تداعيات أكبر؟

ثالثاً: تأليه المسيح وعقيدة الثالوث:

القول بألوهية المسيح:

لم تتوقف تأويلات (بولس)(شاؤول) لحادثة الصلب بطرحه لفكرة أن (الفداء) والخلاص من الخطيئة بصلب المسيح وتقديم جسده قرباناً لتخليص الجنس البشري من جريمة أبويه آدم وحواء -بحسب معتقد بولس والمسيحية اليوم- بل إن الأمر اتخذ منحى أكبر وأكثر تعقيداً، إذ أن ما أتى لاحقاً هو تأليه النبي عيسى -عليه السلام-، ولم يعد "المسيح الموعود فحسب، ولا زعيم اليهود الموعود فقط، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر"[30]، ويعلل شارل جان بيير رئيس قسم الأديان بجامعة باريس، في كتابة (المسيحية ونشأتها) ابتكار بولس هذه الفكرة بقوله إنها ترجع إلى موقف الأتباع الجدد من الوثنيين إزاء طريقة موت عيسى عليه السلام، إذ إنهم "لم يكونوا ليتقبلوا فضيحة الصلب، وأنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة تفسيراً مرضياً، يجعل منها واقعة ذات مغزى ديني عميق...وأعمل بولس فكره في هذه المشكلة...ووضع لها حلاً كان له صدى بالغ المدى...لقد تجاهل فكرة عيسى الناصري، ولم يتجه إلا إلى المسيح المصلوب (الشخصية التي اخترعها بولس) فتصوره شخصية إلهية، تسبق العالم نفسه في الوجود، رجل سماوي احتفظ به الله إلى جانبه أمداً طويلاً حتى نزل إلى الأرض، لينشئ فيها بشرية جديدة، يكون هو آدمها"[31]؛ وهكذا فإن بولس هو واضع بذرة ألوهية المسيح[32]، التي لاقت الترحيب، نظراً لما كانت تتبناه العقليات البشرية آنذاك من فلسفات واتجاهات وثنية تؤمن بمثل هذه الأفكار.

كما أن من الأسباب التي ساهمت في ازدهار هذه الفكرة لدى المسيحيين وتقبلهم لها ترجع إلى أن جمهورهم كان يقدس المسيح أبلغ تقديس، وهو ما استغله دعاة ألوهيته، لترسيخ هذه الفكرة؛ إذ إنهم كلما زادوا في تقديسه، لاقوا قبولاً لدى العامة، حتى وصلوا إلى أن اعتبروه إلهاً[33]. أضف إلى ذلك أن المصادر التوثيقية للديانة المسيحية من كتب ومخطوطات قد تعرضت للحرق والتدمير أثناء الاضطهاد اليهودي الروماني لأتباع المسيحية، وهو ما أدى إلى فقدان الأصول التي يمكن من خلالها تمييز الدخيل على هذه الديانة[34].

ونعلم جميعاً أن عيسى بن مريم -عليه السلام- نبي أرسله الله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الإنجيل ليكون لهم هادياً، بما اشتمل عليه من أوامر ونواهٍ، ترشدهم سواء السبيل، وهذا الأمر يؤكده قوله تعالى: ﴿قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبارَكًا أَيْنَ ما كُنْتُ وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا والسلام عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[35]، أي أنه بشر ابن بشر، كلفه الله تعالى بتبليغ رسالته، وليس إلهاً، كما يقول النصارى اليوم. وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[36]، وكذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[37]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا من دون اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُو سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[38]، وأيضاً قوله: ﴿وَلَمَّا جاءَ عِيسى بِالْبَيِّناتِ قال قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[39].

إذن فإن فكرة ألوهية عيسى -عليه السلام- طرأت على المسيحية فيما بعد، أي بعد انقضاء فترة دعوته القصيرة التي لم تتجاوز الثلاث سنوات[40]، والتي انتهت في نظر الكنيسة بموته وصلبه من قبل الرومان.

عقيدة الثالوث في المسيحية:

إن المتتبع لتاريخ ظهور عقيدة الثالوث -أو التثليث-، القائمة على وجود ثلاثة أقانيم، يجد أنها بدأت بفكرة تأليه عيسى -عليه السلام- (الابن) ثم تبعتها بعد ذلك فكرة تأليه (الروح القدس)، ليكتمل بذلك الثالوث المقدس، الآب والبن والروح القدس.

---

[30] شلبي، أحمد: مقارنة الأديان (المسيحية)، مرجع سابق، ص146.

[31] نقلاً عن: زكي، أحمد: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ط:1 (د م ن، دار الحداثة للطباعة والنشر)، 1995، ص109.

[32] شلبي، أحمد: مقارنة الأديان، مرجع سابق، ص147.

[33] أبو زهرة، محمد: محاضرات في النصرانية، ط:3 (القاهرة، دار الفكر العربي) 1982، ص154.

[34] المرجع السابق، ص156.

[35] سورة مريم، الآيات 30-33

[36] سورة المائدة، الآيتان 116-117.

[37] سورة آل عمران، الآية 51.

[38] سورة التوبة، الآية 31.

[39] سورة الزخرف، الآيتان 63-64.

[40] الشين، يوسف: الأديان السماوية بين العقل والنقل، ط:1 (بنغازي، منشورات جامعة قاريونس) 2002، ص253.

ورأيناً -سابقاً- كيف ظهرت ألوهية المسيح والأسباب الكامنة وراء ظهورها؛ في هذا المبحث سنبين كيف تطورت هذه الفكرة إلى أن أصبحت عقيدة تطورت -بدورها- إلى عقائد أخرى، أدت إلى ما يعرف في العقيدة المسيحية بـ(الثالوث).

إن الثالوث أو التثليث هو أحد أسس العقيدة المسيحية الثلاثة[41]، التي يؤمن بها جميع النصارى، بمختلف كنائسهم، وتقوم على أساس أن طبيعة الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص أزلية، يعلنها الكتاب في صورة شخصيات (أقانيم) متساوية، وبحسب رأي الكنيسة ورجالها، فإن الكتاب المقدس يقدم ثلاث شخصيات يعتبرها شخص واحد، وهو شخص الله، وبالرغم من أن هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجعلهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى، إلا أن هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد، وهذه الشخصيات هي: الآب، الابن، الروح القدس، وهي شخصيات متساوية، كما أن التثليث في طبيعة الله ليس أمراً مؤقتاً أو ظاهرياً، بل هو أمر حقيقي وأبدي[42].

ويضرب المسيحيون مثلاً على ذلك بأن الله في عناصره وأقانيمه الثلاثة كالتفاحة بما لها من صفات اللون والطعم والرائحة، كما لا توجد تفاحة بدون هذه الأوصاف الثلاثة، فإنه كذلك لا يمكن تصور الآب بدون الابن والروح القدس[43].

ثم أن الكنيسة بعد ما قسمت الألوهية إلى هذا الثالوث جعلت لكل أقنوم منها عملاً خاصاً به، فالأب جعلوه مصدر العدل، والابن جعلوه مصدر الرحمة، أما الروح القدس فقد جعلوه مصدر النعمة[44].

البعد السياسي في تطور العقيدة المسيحية:

إن المتتبع لتاريخ الكنيسة واعتماد وتقرير عقائدها الأساسية، ليرى أن نمو هذه العقائد قد كان مشروطاً بالمحيط الثقافي ومحدداً بمسيرة التناقضات وبمجموعة من المؤثرات، والعوامل أبرزها وأهمها العامل السياسي، نظراً لما لعبه من دور كبير لا يستطيع أحد تجاهله، فقد كان المحرك في ذلك من البداية إلى النهاية سياسة الدولة الرومانية، وذلك ضمن مسيرة من التكتيك الحربي والسياسي كان الهدف الأساسي منه الحفاظ على وحدة وسيادة الإمبراطورية التي كانت مهددة بالسقوط.

وملخص الحكاية أنه "عند موت القديس بولس، في منتصف القرن الأول الميلادي، كانت المسيحية قد انتشرت انتشاراً واسع النطاق في الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية؛ إذ كانت المسيحية ولدت بفلسطين، وأخذت تنتشر باتجاه الغرب على طول طرق التجارة في شرق البحر المتوسط...وحين اعتلى قسطنطين العرش الإمبراطوري كان هناك عدد يتراوح ما بين عشرين إلى ثلاثين في المائة من سكان الجزء الشرقي اليوناني اللسان مسيحيين، وما بين خمسة إلى عشرة بالمائة من سكان الغرب اللاتيني...يعتنقون المسيحية. وبحلول سنة 312 ربما كان ثلث سكان مدن الإمبراطورية من المسيحيين"[45]، أي أنهم أصبحوا يشكلون وزناً لا يستهان به بالنسبة للرأي العام، وخاصة إذا علمنا أن باقي السكان لم تجمعهم ديانة واحدة، بل إنهم تفرقوا بين ملل ونحل مختلفة كاليهودية وعبادة إيزيس المصرية، أو الأم العظمى (Magna Mater) في آسيا الصغرى، أو عبادة متيرا (Mithra) إله الشمس الذي لا يقهر [46]، كما أن اختلاف القوميات التي ضمتها الإمبراطورية تحت لوائها، وهو ما كان يشكل عامل تهديد لوحدتها، جعل قضية إيمان هذه القوميات المختلفة بديانة واحدة تجمعها أمراً يحمل بارقة أمل بالنسبة لحفظ كيان الدولة الرومانية، وخاصة أن هذه الديانة قد تميزت عن باقي الديانات بواقعيتها، "فقد كان المسيح شخصية تاريخية عاشت في عصر تاريخي...ولم يكن مجرد شخصية أسطورية"[47]، كما أن استيعاب المسيحية للكثير من العقائد الوثنية، وكذلك العبادات والممارسات المصاحبة لها، جعل منها ديانة عالمية، رحبت بالدخول فيها مختلف الأمم[48].

هذه الظروف استغلها الحكم الإمبراطوري المتمثل في شخصية قسطنطين (م– 280م) في حربه ضد المنشقين، لتحقيق وحدة الإمبراطورية، وذلك عن طريق إعلانه اعتناق المسيحية، قبيل معركته ضد خصمه مكسنتيوس، الذي كان يقاسمه الإمبراطورية مناصفة، وكان النصر فيها حليفاً لقسطنطين، وما فعله بالضبط "أنه أراد أن يفيد من قوة الكنيسة المسيحية، وإذا لم يكن باستطاعته أن يقضي على المسيحيين فإنه انضم إليهم. ومن ثم فإنه استغل المسيحية لتدعيم قوة إمبراطوريته"[49]، وذلك من خلال اعتبار نفسه رجلاً أرسلته العناية الإلهية لإنقاذ الإمبراطورية الرومانية والكنيسة المسيحية، وأن كلاً منهما، أي الإمبراطورية والكنيسة، مرتبطتان إحداهما بالأخرى أشد الارتباط، ذلك أنه أدرك منذ بداية توليه العرش الإمبراطوري أن الكنيسة بإمكانها أن تكون بمثابة العمود الفقري الذي يسند الإمبراطورية، لذلك قام بمحاولات مستميتة في سبيل الحفاظ على وحدة الكنيسة، انطلاقاً من كون الرب اختاره لأداء هذه المهمة[50].

---

[41] الأساسان الآخران هما: تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر، ليصلب تكفيراً للخطيئة التي ارتكبها أبو البشر، والأساس الآخر هو ترك الإله الآب للإله الابن مسألة حساب الناس، ذلك أنه، أي الابن، قد ظهر بمظهر البشر، لذلك فهو أقرب لفهمهم. (أنظر: أبو زهرة، محمد: محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص106-109).

[42] بوست، جورج: قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، ص232.

[43] الفاضلي، داود علي: أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، مرجع سابق، ص246.

[44] المرجع السابق، ص249.

[45] كانتور، نورمان: العصور الوسطى الباكرة، ترجمة وتعليق: قاسم عبده قاسم، د ط (مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية) د ت، ص56.

[46] المرجع سابق، ص52.

[47] المرجع السابق، ص52.

[48] المرجع السابق، ص53-59.

[49] كانتور، نورمان: العصور الوسطى الباكرة، مرجع سابق، ص66.

[50] المرجع السابق، ص67.

ومن هنا فحالما سادت المجتمع المسيحي الصراعات بخصوص طبيعة المسيح، التي كان أبرزها ما يعرف في التاريخ المسيحي (ببدعة أريوس) (ت-336م)، التي ترفض ألوهية المسيح، والتي قسمت الكنائس الشرقية إلى قسمين: القسم الأول يرفض هذه الألوهية، ويتمثل في كنيسة مقدونية وفلسطين وأسيوط، والقسم الذي يقرها وتمثله كنيسة الإسكندرية، أقول إنه حالما ظهرت مثل هذه الشقاقات بادر قسطنطين إلى حلها، وذلك خوفاً على وحدة المسيحية، التي رأى أنها عمود الوحدة الإمبراطورية، وذلك عن طريق دعوة البطاركة والأساقفة من مختلف البلدان للاجتماع فيما سمي (مجمع نيقية Nicea) سنة 325، ليضع حداً لهذا الاختلاف[51].

وقد تجلى التدخل السياسي في مسألة الدين بوضوح في سير مجريات وأحداث هذا المجمع، فبالرغم من أن أنصار تأليه المسيح كانوا أقل بكثير من بقية المجتمعين، إلا أن القرار في النهاية كان لصالح عقيدتهم، والسبب في ذلك راجع إلى تحيز قسطنطين لهذه العقيدة.

وكان أول ما فعله أن أمر بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين، وقتل الكثيرين منهم، من بينهم آريوس وأتباعه، واجتمع الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم 318 عضواً فاتخذوا قراراً بذلك. وعند كتابة نص القرار اعترض أكثرهم على عبارات المساواة بين الأب والابن، ولكنهم خافوا أن ينـزل بهم ما نزل بمعارضي التثليث، فوضعوا إمضاءاتهم على الوثيقة[52].

ولم يكن السبب في نصرة أوغسطين مؤيدي ألوهية المسيح غيرته الدينية على المسيحية، ولا حتى على الوثنية، لأن الديانة لم تكن تعني لرجل كقسطنطين شيئاً، والدليل على ذلك أنه "يساوي بين النصرانية والوثنية"[53]. ويتأكد ذلك من أن إحدى العُملات في عصره قد سكت عليها من جهة صورة إله الشمس التي لا تقهر (المعبود الوثني) وسكت معها على القطعة نفسها في الجهة الأخرى صورة الصليب[54]. لكن ما جعله ينحاز إلى هذه الفئة ، أي فئة القائلين بألوهية المسيح، أن مثل هذا المعتقد كان سائداً في الديانات الوثنية السابقة التي آمنت بها شعوب المنطقة، حتى أن الكلمات والألفاظ التي وصف بها عيسى، مثل (مسيح) (ابن الإنسان) (ابن الله) (السيد Lord) (كلمة الله Logos)...إلخ[55]، كانت موجودة في البيئة الوثنية حتى قبل مجيء عيسى، أي أنها كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون، فقد استخدمت في وثائق غير مسيحية، وفي تفسيرات غير مسيحية[56]، كما أن تعظيم الإنسان وإجلاله لدرجة رفعه لمرتبة الألوهية، كان من أهم مكونات البنية الفكرية الدينية للمجتمعات الوثنية، فيما عرف بعبادة الأبطال وتأليههم[57].

ثمة سبب آخر لتبني قسطنطين ألوهية المسيح وتأييده لها، وهي أساس عقيدة الثالوث، واستخدامه سلطته وقوته في هذا التأييد، هو أن الأرستقراطية الرومانية، التي كانت تشكل ثقلاً لا يستهان به في (مجلس الشيوخ الروماني)، وكانت تشغل أهم الوظائف المدنية، وذات أهمية بالنسبة للرأي السياسي العام، كانت لا تزال تدين بوثنيتها، بل أصبحت أكثر حماسة لدينها بعد وقوعها تحت تأثير الرواقية والأفلاطونية الجديدة[58]. ولذا فإن مسألة إرضائهم دينياً كانت خياراً لا يملك قسطنطين غيره، وكان ذلك بأن ألبس المسيحية ثوب الوثنية، لتلقى القبول والترحيب لديهم، ومن ثم تقررت ألوهية المسيح رسمياً في هذا المجمع، فهو "ابن الله ومساوياً له في جوهره"[59].

وبذلك تقرر ثلثا الثالوث، وبقي الثلث الأخير. "ويظهر أن الإسكندرية ا لتي كانت مهداً للأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث، وأن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه: قوة المكون الأول، والعقل (الابن) والنفس العامة (الروح القدس)، تريد أن تفرض ذلك فرضاً على المسيحيين، كما كانت العامل القوي في إعلان ألوهية المسيح"[60].

لذلك فبمجرد ظهور الخلاف حول مسألة ألوهية الروح القدس، بين مؤيد ورافض، تم عقد مجمع في القسطنطينية - سمي هذا المجمع (المجمع القسطنطيني الأول) وعقد سنة 381م-، حضره 150 أسقفاً، في مقدمتهم بطريرك الإسكندرية [61]، الذي أعلن عما توصل إليه المجمع بما نصه: "ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق، فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به. ومن كفر به وجب عليه اللعن"[62]. وبذلك تم الثالوث، وتأكد كعقيدة كاملة للنصارى، مستمداً جذوره من العقائد والثقافات السابقة لنـزول المسيحية. ولتحقيق الغرض العلمي فإنه لابد من الاطلاع على هذه الجذور، ولو بشكل عابر.

---

51 أبو زهرة، محمد: محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص147.
52 شلبي، أحمد: مقارنة الأديان (المسيحية)، مرجع سابق، ص148.
53 رستم، أسد: حرب في الكنائس، د ط (بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية)، 1958، ص8.
54 كانتور، نورمان: العصور الوسطى الباكرة، مرجع سابق، ص65.
55 يونغ، فرنسيس: سحابة من الشهود (مقالة من ضمن المقالات الواردة في كتاب: أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح، أشرف على التحرير: جون هك، ترجمة: نبيل صبحي، ط1 (الكويت، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع) 1985، ص44.
56 المرجع السابق، ص44.
57 انظر كارليل، توماس: الأبطال، ترجمة: محمد السباعي، ط4 (بيروت، دار الرائد العربي) 1982، ص14.
58 كانتور، نورمان: العصور الوسطى الباكرة، مرجع سابق، ص84.
59 الخطيب، عبد الكريم: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، مرجع سابق، ص247.
60 أبو زهرة، محمد: محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص132.
61 المرجع السابق، ص132.
62 المرجع السابق، ص133.

الجذور الوثنية للثالوث المسيحي:

وبما أن المسيحية ديانة ولدت في الشرق، فقد كان من الطبيعي أن تكون قد تأثرت بالمعتقدات الشرقية في المنطقة. وخاصةً بأن المنطقة قد كانت مشبعة بالأفكار والأساطير الدينية[63]، وقد كان الثالوث، أو الإله مثلث الأقانيم من ضمنها؛ إذ لا تخلو الدراسات والأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث، أو التولد الثلاثي، أي الآب والابن وروح القدس[64]، وفي غيرها من مناطق العالم. وكان من الطبيعي أن تتأثر المسيحية به، وتحمل من صفاته وخصائصه الكثير، فالمعتقدات الدينية "يمكن أن نشبهها بالأمراض المعدية؛ إذ إن تقديس بعض الآلهة المحلية انتشر في أماكن بعيدة عن مواطنها الأصلية"[65]. وهذا يعد من طبيعة الفكر الإنساني عامة، إذ لطالما أخذت الأمم وأعطت بعضها البعض من الثقافات والأفكار، سواء تم ذلك على المستوى الفردي الخاص، أم على المستوى الإنساني العام.

وقد كان الثالوث أشهر وأعظم العبادات اللاهوتية في الهند[66]، "ويدعون هذا التعليم بلغتهم (ترى مورتى) وهي جملة مركبة من كلمتين سنسكريتيتين: أما (ترى) فمعناها ثلاثة، و(مورتى) معناها (هيئات) أو أقانيم، وهي: براهما وفشنو وسيفا، ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة"[67]، وبما أن هذا الثالوث قد ظهر "في الفكر الهندي في القرن التاسع قبل الميلاد[68]، فإن من الطبيعي أن يكون الثالوث المسيحي صدى له، وليس العكس.

واعتقد اليونانيون أيضاً بالتثليث، وكانوا يعتبرون أن الإله ذو ثلاثة أقانيم، وهو ما جعل للرقم ثلاثة رمزية مقدسة[69]، فإذا "شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح، يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات، إشارة إلى الثالوث، ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع"[70]. كما اعتقد حكماؤهم أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة، وهو ما منح هذا العدد عناية خاصة بالنسبة لأحوالهم الدينية[71].

كذلك آمن المصريون الفراعنة بثالوث من النوع نفسه، يتكون من الإله أوسيروس، ويسمى الأب، والإله هور، ويسمى الابن أو الكلمة، والثالث الإله إيزيس وهي الأم أو الوالدة، وهي باعثة الحياة في البشر، وهو ما يتوافق مع الروح القدس الذي يعتبر مصدر حياة البشر[72]، وقد حاول أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانيا (جارسلاف كريني) في كتابه: (ديانة قدماء المصريين)، أن يطابق بين الثالوث المصري والثالوث النصراني، قائلاً: إن الثالوث المسيحي مأخوذ عن هذا الثالوث الفرعوني"[73]. أضف إلى ذلك أن إطلاق لفظة (كلمة) على الأقنوم الثاني من الثالوث، يرجع في جذوره إلى الوثنية المصرية القديمة، ومنها تسربت ودخلت إلى الديانات الأخرى، ومنها المسيحية[74]، وخاصة أن القول بـ(لاهوت الكلمة)، وأن كل شيء قد صار بواسطتها، وأنها نابعة ومنبثقة من الله، وأنها في الوقت ذاته الله، قد حدث قبل التاريخ المسيحي بسنين[75].

وبالطريقة نفسها كان للبوذيين العقيدة نفسها، فقد جاء في كتب الصينيين الذين آمنوا بالبوذية "أن أصل كل شيء واحد. وهذا الواحد الذي هو أصل الوجود اضطر إلى إيجاد ثان. والأول والثاني انبثق منهما الثالث. ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء"[76].

وقد حاول المرحوم محمد طاهر التنير(ت-1933م) البرهنة على أن المسيحية قد تأثرت فعلاً بالبوذية من خلال عقده مقارنة بين أقوال الهنود الوثنيين في (بوذا ابن الله) وبين أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله. وقد عكست هذه المقارنة حجم التأثير البوذي في المسيحية، لدرجة يمكن معها اعتبار أن معظم معتقدات المسيحيين في شخص المسيح عيسى هي بوذية في أصلها[77].

وقد آمن الرومان الوثنيون القدماء بالعقيدة نفسها، واعتبروا أن الثالوث هو أولاً الله، ثم الكلمة، ثم الروح[78]، كما آمنوا بألوهية البشر، وكانت عبادة شائعة جداً عندهم.

---

63 عبدالعال، حمدي: الملة والنحلة في اليهودية، المسيحية، الإسلام، ط: 1 (الكويت، دار القلم) 1989، ص130.

64 المرجع السابق، ص30.

65 إرمان، أدولف: ديانة مصر القديمة، مرجع سابق، ص7.

66 التنير، محمد طاهر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، د ط (بيروت، د د ن) 1912، ص31.

67 المرجع السابق، ص32.

68 القماطي، هنية: الفكر الديني القديم، دراسة في نشأة المعتقدات الدينية، ط1 (بنغازي، منشورات جامعة قاريونس) 2003، ص142.

69 التنير، محمد طاهر: العقائد الوثنية في الديانة المسيحية، مرجع سابق، ص43.

70 المرجع السابق، ص43-44.

71 المرجع السابق، ص44.

72 الفاضلي، داود علي: أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، مرجع سابق، ص235-236.

73 نقلاً عن المرجع السابق، ص236.

74 التنير، محمد طاهر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، مرجع سابق، ص40.

75 المرجع السابق، ص41.

76 المرجع السابق، ص37.

77 لمزيد من التفاصيل انظر: المرجع السابق، ص196-210.

78 المرجع السابق، ص45.

كما انتشرت عقيدة الثالوث لدى الفرس أيضاً، فعبدوا إلهاً مثلث الأقانيم، هي: أورمزد ومترات وأهرمان. وكانت للآشوريين والفينيقيين عبادات من هذا النوع[79].

لذا فإن عقيدة الثالوث ما هي إلا عقيدة وثنية، تسربت إلى المسيحية، لتتلاءم هذه الأخيرة مع الطرح الفكري الوثني الموجود على الساحة، ولتستقطب أكبر عدد من الأتباع والأنصار في تنافسها المحموم مع باقي العقائد والأديان. ولتحقيق المصداقية لهذه العقيدة تم إخضاع النص الديني المقدس لنوع من التأويل، ليتلاءم وإياها، وليجعل لها قاعدة موثقة متينة تقوم على أساسها هذه العقيدة.

النتائج:

1. الصلب كعقوبة تاريخية: تبين أن الصلب كان وسيلة إعدام قديمة، تستخدم للتعذيب والإهانة السياسية، وقد انتقلت من الفينيقيين إلى الرومان، حيث شكلت أداة لإرهاب العامة والتحكم في المتمردين.
2. تداعيات حادثة الصلب على المسيحية: أدى موت المسيح وفق العقيدة المسيحية إلى تحول الصورة التاريخية لحياته إلى حدث ذي دلالة دينية عميقة، ما أفرز فكرة الفداء وفتح المجال لتأليه المسيح.
3. ألوهية المسيح وتطور العقيدة: أسهمت الممارسات السياسية والاجتماعية، وخصوصاً تدخل الإمبراطور قسطنطين، في ترسيخ عقيدة ألوهية المسيح، وهو ما أدى لاحقاً إلى ظهور عقيدة الثالوث.
4. التأثير الوثني على العقيدة المسيحية: تبين أن عقيدة الثالوث المسيحي استمدت جذورها من المعتقدات الوثنية الشرقية والغربية، بما في ذلك المعتقدات المصرية والهندية واليونانية والفارسية، لتصبح عقيدة متماسكة قادرة على استقطاب أتباع متعددين.
5. البعد السياسي للعقيدة: شكلت العقيدة المسيحية أداة لتوحيد الإمبراطورية الرومانية، حيث استغل الحكام المسيحية لتثبيت سلطتهم والحفاظ على وحدة الدولة، وهو ما ظهر جلياً في مجامع نيقية والقسطنطينية.

الخاتمة:

توصل البحث إلى عدة نتائج رئيسية تتعلق بنشأة العقيدة المسيحية وتطورها، والتي تؤكد أن المسيحية لم تنشأ بمعزل عن السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية التي أحاطت بها. فقد تبين أن حادثة الصلب كانت نقطة تحول مركزية، إذ لم تكن مجرد موت جسدي للمسيح، بل كانت حدثاً رمزياً أثر في عقلية أتباعه وأسهم في إعادة صياغة معتقداتهم. لقد أدى الصلب إلى ظهور فكرة الفداء، التي حاولت تبرير موت المسيح من أجل خطايا البشر، وهي عقيدة تتعارض مع مبدأ المسئولية الفردية، ما يوضح كيف أن العقيدة يمكن أن تتشكل وفق الاحتياجات النفسية والاجتماعية للأتباع بعد صدمة الحدث التاريخي.

كما أوضح البحث أن تأليه المسيح وظهور عقيدة الثالوث لم يكن محض نتيجة لتعاليمه الأصلية، بل جاء نتيجة لتأثيرات سياسية وثقافية متعددة، من بينها تدخل الإمبراطور قسطنطين لتوحيد الإمبراطورية عبر دعم العقائد المسيحية، والتأثر بالمعتقدات الوثنية السابقة في مصر والهند واليونان وفارس، التي كانت قد تبنت فكرة التثليث وألوهية الإنسان. وقد ساهم هذا التفاعل بين الدين والسياسة والثقافة في تشكيل العقيدة المسيحية النهائية كما نعرفها اليوم، مع تحويل شخص المسيح من نبي بشري إلى شخصية إلهية متكاملة في الثالوث.

ويتضح من البحث أن البعد السياسي كان عنصراً محورياً في صيانة العقيدة المسيحية وتوحيدها، حيث استغل الحكام المسيحيون الجدد عقائدية الصلب والفداء والألوهية كأداة لتوجيه ولاء الأتباع ولضمان وحدة الإمبراطورية الرومانية. كما أن التفاعل مع الثقافات الوثنية المختلفة ساعد على استيعاب المسيحية لعدد أكبر من الأتباع، ما منحها بعداً عالمياً، وتحولها من دعوة محلية في فلسطين إلى ديانة عالمية واسعة الانتشار.

بناءً على ذلك، يمكن القول إن العقيدة المسيحية نتاج مركب للتفاعلات التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية، أكثر مما كانت انعكاساً لتعاليم النبي عيسى عليه السلام الأصلية، مما يتيح فهماً أعمق لتطور المعتقدات الدينية وأثر السياقات الخارجية على بنائها، ويبرز أهمية دراسة السياق التاريخي لفهم أي عقيدة دينية بصورة دقيقة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب المقدسة المسيحية:

1. الكتاب المقدس.
2. إنجيل برنابا.

ثالثاً: المراجع:

1. أبو سليمان، عبد الحميد أحمد: عقيدة الصلب بين المسيحية والإسلام، 2008.
2. عقيدة-الصلب-بين-الإسلام-والنصرانية/academiea.edu/33838467
3. أبو زهرة، محمد: محاضرات في النصرانية، ط: 3 (القاهرة، دار الفكر العربي) 1982.
4. اسليماني، حفيظ: الصلب وعلاقته بالخطيئة في الفكر المسيحي "عرض ونقد"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، العدد: 10، سنة: 2017، المغرب.

79 المرجع السابق، ص45.

5. بوست، جورج، وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، ط: 4 (القاهرة، دار مكتبة القاهرة) 2005.
6. التنير، محمد طاهر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، د ط (بيروت، د د ن) 1912.
7. الثعالبي، عبدا لعزيز: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، تقديم ومراجعة: حمادي الساحلي، ط: 1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي) 1985.
8. حنان، ميشيل: 30 طريقة للموت "تاريخ وسائل الإعدام"، ط: 2 (د م ن، د د ن) د ت ن.
9. الخطيب، عبد الكريم: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ط: 1 (مصر، دار الكتب الحديثة) 1965.
10. ديدات، أحمد: الصلب وهم أم حقيقة، تقديم: عبد الجليل شلبي، ترجمة وتحقيق: إبراهيم خليل، ط: 1 (القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع) 1989.
11. ديورانت، ول: قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة: محمد بدران، د ط (بيروت، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع) د ت.
12. رستم، أسد: حرب في الكنائس، د ط (بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية) 1958.
13. زكي، أحمد: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ط: 1 (د م ن، دار الحداثة للطباعة والنشر) 1995.
14. شلبي، أخمد: مقارنة الأديان (المسيحية)، ط: 8 (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية) 1984.
15. الشين، يوسف: الأديان السماوية بين العقل والنقل، ط: 1 (بنغازي، منشورات جامعة قاريونس) 2002.
16. عبدالعال، حمدي: الملة والنحلة في اليهودية، المسيحية، الإسلام، ط: 1 (الكويت، دار القلم) 1989.
17. عبد الوهاب، أحمد: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، د ط (القاهرة، مكتبة وهبة) د ت.
18. القماطي، هنية: الفكر الديني القديم، دراسة في نشأة المعتقدات الدينية، ط: 1 (بنغازي، منشورات جامعة قاريونس) 2003.
19. كارليل، توماس: الأبطال، ترجمة: محمد السباعي، ط: 4 (بيروت، دار الرائد العربي) 1982.
20. كانتور، نورمان: العصور الوسطى الباكرة، ترجمة وتعليق: قاسم عبده قاسم، د ط (مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية) د ت.
21. مسعود، جبران: الرائد "معجم لغوي عصري"، ط: 2 (بيروت، دار العلم للملايين) 1967.
22. يونغ، فرنسيس: سحابة من الشهود (مقالة من ضمن المقالات الواردة في كتاب: أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح)، أشرف على التحرير: جون هك، ترجمة: نبيل صبحي، ط: 1 (الكويت، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع) 1985.